ستزيد من تأزيم الأوضاع... والواجب الأول هو ايقاف تدهور الأوضاع. اما اذا كان شارون مصرّا على اتباع اسلوب التخويف الذي اتبعه في غزة في العام ١٩٧١، فمن المناسب ان يقال له، ان الضفة في العام ١٩٨١، ليست غزة ١٩٧١، والعالم في العام ١٩٨١ لا يستطيع تحمّل مثل هذه الأعمال التي تجاهلها في العام ١٩٧١.

... ان سكان المناطق المحتلة لا يريدون الاحتلال الاسرائيلي بجميع صوره، لا الحكم الذاتي، ولا الحكم الاداري ولا اي وصاية، بل يريدون الاستقلال. وهذا يعلمه جيدا كل ذي صلة، حتى لو كانت ضعيفة مع الواقع في المناطق المحتلة. فهم يعبّرون عن رأيهم بالقول والعمل، ولن تجدي محاولات الحكم العسكري نفعا (**المصدر نفسه**).

وفي الاتجاه نفسه، علّق يهودا ليطاني على عمليات نسف البيوت في بيت ساحور بقوله: «... لقد دفعت سياسة شارون حتى بالذين يطلق عليهم تسمية معتدلين للوقوف جنبا الى جنب مع الذين نطلق عليهم تسمية متطرفين، والى مواقف موحدة ضدها. لقد سار كل من حنا الأطرش، رئيس بلدية بيت ساحور، والياس فريج سوية مع زعيم الحزب الشيوعي عطا الله رشماوي في مسيرة احتجاجية ضد سياسة هدم البيوت. وقد هتف المتظاهرون: «فلسطين عربية»، «لا لاسرائيل»، «نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية». وسمع النشيد المعتاد في مثل هذه المظاهرات «بلادي، بلادي»، وقد تصدت المسيرة للسيارات العسكرية الاسرائيلية دون اي خوف وقام الشبان برجمها» (**هآرتس**، ١٨/١١/١٩٨١).

واضاف ليطاني: لقد كانت نظرات الحقد والكراهية تطل من كل زاوية. لقد سمعت طفلا ــ احد ابناء العائلة التي هدم بيتها ــ يشتم اسرائيل، وعندما رآني رفع صوته واستمر بالصراخ والشتائم قائلا: «... ستدفعون ثمن ذلك غاليا، لن نهدم بيتا واحدا، بل سنهدم جميع بيوتكم»، واختتم تعليقه بقوله: «... عندما تقوم السلطات الاسرائيلية بعمليات نسف البيوت تعتقد انها بهذا العمل تردع السكان، ولكن النتيجة الحتمية هي التصعيد، لأنه من الصعب توقع توق السكان الذين تنسف بيوتهم نحو السلام. حقا ان هذه الأعمال تخيف البعض، ولكن سيوجد دائما من لديه الجرأة على رشق الحجارة في ظروف اصعب وحتى على إطلاق النار والقاء القنابل ووضع المواد الناسفة، والأمر الأكثر اهمية، هو عدم امكانية وجود زعماء معتدلين، ما دام الياس فريج وحنا الأطرش يضطران للسير مع المتظاهرين في مسيرة واحدة» (**المصدر نفسه**).

كذلك، علّق امنون كابليوك على سياسة العقاب الجماعي وعدم جدواها، بقوله: «... يبقى العقاب الجماعي اكثر اشكال العقاب بشاعة من بين جميع الوان العقاب التي تفتق عنها ذهن الانسان... السلطات التي فقدت الشعور الانساني تتبع مثل هذه الوسائل، التي تلحق الضرر بأشخاص كل ذنبهم انهم موقع شك واتهام... لقد اتبع هذا الأسلوب منذ الأيام الأولى للاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع في العام ١٩٦٧، منع تجوّل؛ اغلاق مؤسسات تعليمية؛ وفوق كل هذا نسف بيوت، وفي بعض الأحيان هدم احياء كاملة ــ هكذا حدث على سبيل المثال في غزة وجلحول قبل حرب الغفران ــ وقد سمى موشي دايان هذا العقاب، «عقاب الجوار»، ولكن دايان صاحب هذه النظرية عرف فيما بعد عقم هذا الأسلوب، وفي نهاية فترته، وخلال فترة سلفه شمعون بيرس، خفت مثل هذه الأعمال.

واختتم تعليقه بالقول: «... عندما احتلت المناطق المحتلة في العام ١٩٦٧، قيل لنا: هذه المرة ستكونون شهود عيان على سلطة احتلال متنور، ولكن لم يمض وقت طويل حتى اتضح ان لغة الاحتلال واحدة، والتغيير فقط بالتفاصيل، وفي قوة المعارضة... فلا يوجد احتلال لم يقم بمنع توزيع الكتب، ولا توجد سلطة احتلال لم تر في الجامعات مستنبتا للمعارضة وبؤرة لها. ان جميع سلطات الاحتلال تعود الى الأخطاء نفسها... التهور بمثل هذه الأمور وما يشابهها، يشير الى امر واحد فقط وهو: إفلاس الحكم العسكري. والمشكلة انه لا يوجد في السلطة من يستخلص العبر من مثل هذا الافلاس في سياسة الحكم العسكري» (**عل همشمار**، ٢٠/١١/١٩٨١).

**صلاح عبد الله**